

الأسماء الثلاثة للإله، الرب، والعبادة

(34) بمعرفة الموضوع معرفة صحيحة، مدعمة بالدليل حتى لا يقع المسلم في مغبسة الشرك، و عبادة غيره سبحانه. و رغم المكانة الرفيعة للموضوع لم نعثر على بحث جامع حول مفهوم العبادة يتكفل ببيان مفهومها، وحدها الذي يفرقها عن التكريم و التعظيم أو الخضوع والتذلل، و كأن السلف - رضوان الله عليهم - تلقوا مفهوماً واضحاً، و اكتفوا فيها بما توحى إليهم فطرتهم. ولو صح ذلك فإن ما يصح في الأزمنة السالفة، دون اليوم الذي استفحل عند بعض الناس أمر إدعاء الشرك في العبادة، فيما درج عليه المسلمون منذ قرون إلى أن ينتهي إلى عصر التابعين والصحابة فأصبح - بادعائهم - كل تعظيم و تكريم للنبي، عبادة له، وكل خضوع أمام الرسول شرك، فلا يلتفت الزائر يميناً و شمالاً في المسجد الحرام و المسجد النبوي إلا و توقر سمعه كلمة "هذا شرك يا حاج"، و كأنه ليس لديهم إلا تلك اللفظة، أو لا يستطيعون تكريم ضيوف الرحمن إلا بذلك. فاللزام على هؤلاء - الذي يعدون مظاهر الحب و الود، و التكريم و التعظيم شركاً و عبادة - وضع حد منطقي للعبادة، تمييزاً به، مصاديقها عن غيرها حتى يتخذها الوافدون من أقاصي العالم وأدانيه، ضابطة كلية في المشاهد و المواقف، و لكن - و للأسف - لا تجد بحثاً حول مفهوم العبادة و تبيينها في كتبهم و نشراتهم و دورياتهم. فلاجل ذلك قمنا في هذا الفصل، بمعالجة هذا الموضوع، بشرح مفهوم العبادة لغة و قرآناً، حيث بيّنا أن حقيقة العبادة في تعاليم الأنبياء أخص ممّا ورد في المعاجم و كتب اللغة.